تقديم(1)

عبد الرحيم المودن

حينما فكرت مجموعة البحث في المعجم الأدبي و الفني بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، في تنظيم هذا اليوم الدراسي حول خطاب الإشهار بالمغرب، كان الهد ف المتوخى هو الاقتراب من خطاب يحاصرنا، كل لحظة وحين، يطرق أبوابنا ليل نه ار، في الحلم واليقظة، نستعمله بوعي أحيانا وبدون وعي أحيانا أخرى .خطاب يتوسل بكل الأدوات . يخاطب كل الحواس ويوظف كل اللغات والأشكال والأنظمة، وأخيرا ولي آخرا يوظف هذه الثورة التكنولوجية في ميدان المعلومات وطرائق الاتصال والتواصل.

خطاب ملتبس، سفسطائي في الأد اة والنزعة إذ أنه قادر على إثبات الفكرة والفكرة المضادة في آن واحد، ديمقراطي الانتشار بحكم تسربه بين الجلد والعظم، ديكتاتوري في توزيعه للحرمان بالنسبة للبعض، وإغداقه للوفر —وبدون حساب- بالنسبة للبعض الآخر، مقنع إلى الغموض، واضح إلى حد الصفاء يقدم الملاك في صورة شيطان، والشيطان في صورة ملاك، فن الإيثار والأثرة، الرغبة والعجز، القوة والضعف/ الحقيقة والوهم... وعبر هذه الثنائيات، تنتشر لحظات التأويل لإرسالية الخطاب الإشهاري من قبل المتلقي عبر سياقات اجتماعية وفكرية وفنية محددة.

وإذا كانت بؤرة الخطاب الإشهاري مجس دة في الصورة لمختلف مستوياتها، فإن لقاءنا في هذا اليوم سيرتكز، أساسا، على آليات اشتغال الصورة في هذا المجال . ومن ثم فإن مداخلات الأساتذة الباحثين ستنصب على تفكيك شفرة هذه الأداة -أي الصورة- في تكييف الأذواق، وتوجيه الأذهان وتعبئة الطاقات وقلب المواقف، وتدعم المكتسبات، وتزكية الاختيارات.

وقد لا نبالغ في القول إذا اعتبرنا الخطاب الإشهاري بالمغرب من مكونات الحداثة والتحديث، فعن طريق هذا الخطاب، متزامنا مع الخطابات الفكرية أو الثقافية عامة، فسربت مختلف القيم والسلع، وتم تمرير اختيارات سياسية وإيديولوجية مجسدة وعن طريق هذا الخطاب، أيضا، استنبتت العديد من التوجهات وتمت صياغتها بأساليب معينة يخدم أهداف المرسلين من جهة، وتكسب ثقة المتلقين من جهة ثانية.

لقد آن الأوان للنظر إلى هذا الخطاب في سياق تنوع خطابات الثقافة المغربية التي تعددت خطاباتها وتنوعت في سياق حضارة الصورة، المسيطرة على أنساق الخطاب أمام هذا الانفجار التكنولوجي لوسائل الاتصال والتواصل.

ومن المؤكد أن المعاهد والمدارس والجامعات مؤهلة للتعامل مع الخطاب الإشهاري في مستوياته الفكرية والجمالية، وبين المرحلة الحالية التي أصبح فيها الخطاب الإشهاري فنا متكاملا، يجمع بين عمق الفكرة وجمالية الأسلوب، بين ثراء المضمون وغنى الأشكال، وهو بالإضافة إلى هذا أو ذاك، ازداد تأثيرا إن لم يكن حاسما في كل التحولات المتسارعة بالساحة الثقافية والإجتماعية والإقتصادية.

إن الكثير من الخطابات الإشهارية العربية عامة، والمغربية خاصة، هي مجرد ترجمة لخطابات إشهارية أجنبية. ويبدو ذلك جليا فضلا عن المضامين الغربية أو المفارقة للواقع - في التضارب الحاصل بين الصورة والصوت، وبين الأوجه والسحنات والألسنة، بين الملامح والفضاءات، بين المرسل والمتلقي، بين الواقع والاستيلاب.

ولعل هذا التضارب هو الذي حفزنا بالإضافة إلى أسئلة البنية الإشهارية - على عقد هذه الندوة العلمية الطامحة إلى مقاربة هذا الخطاب الثقافي الذي يسمح لنا بطرح العديد من الأسئلة منها على سبيل المثال لا الحصر :هل يمكن الحد يث عن تاريخ الخطاب الإشهاري بالمغرب قياسا على تاريخ الأدب بأجناسه المتعددة؟ هل يمكن الحديث عن خطاب إشهاري مغربي كما نتحدث عن قصة مغربية أو شعر مغربي؟ ماذا يمكن أن يقدم الدرس الجامعي، في سياق الوحدات المتخصصة في هذا المجال، للخطاب الإشهاري دراسة وإنجازا جماليا وميدانا لفتح الأسواق وتكوين الأطر... الخ

تلك عينة من الأسئلة التي ستنفتح بالضرورة، على أسئلة الخطاب ذاته، وحضور ثلة من الباحثين الأجلاء، في هذا اليوم الدراسي، يعد مكسبا لمستعملي هذا الخطاب بشكل أو بآخر.

1- في إطار تعاونها مع كل الباحثين والمثقفين المغاربة تنشر مجلة علامات أعمال الندوة التي نظمتها كلية الآداب بالقنيطرة حول الخطاب الإشهاري بالمغرب.